مصادر الحكايات الشعبية للأطفال

في البداية نؤكد أنّه لا يوجد تناقض بين التراث الشعبي وبين اتجاهات الأدب الشعبي، وهذان المصدران مرتبطان بمراحل تاريخية وظروف اجتماعية محددة لها منطقها وقانونها الخاص.

والثقافة الشعبية بما أنّها أسست تراثاً غنياً صارت أكثر انفتاحاً على المفردات اليومية والخبرات الذاتية والتجربة والانتماء، لذا صنعت تراكماً تاريخياً عظيماً للأدب الشعبي الذي تعددت ألوانه وصارت أكثر شيوعاً وبشكل خاص الحكايات الشعبية باعتبارها الحلقة الرئيسة في هذا الأدب الذي لا يمكن حصره في لونٍ واحدٍ ولا يمكن فصله من حيث هو للكبار أو حكايات الأطفال الشعبية.

نهلة عبدالله

ورغم أنّ حكايات الأطفال الشعبية وليدة عن الحكايات الشعبية للكبار بصورة أو بأخرى، فلا يعني ذلك أنّها أقل أهمية؛ لأنّها ألّفت خصيصاً للصغار، وأظن – على سبيل المثال – أنّ سيرة عنترة وسيرة سيف وسيرة بني هلال لم تنته أهميتها بتقديمها للأطفال حتى نصدر أحكاماً عليها من حيث هي نصوص للكبار فحسب، وهو أمرٌ مؤسف؛ لأنّ بعض الناس لا يكف عن انتقاد هذه الحكايات، بالإشارة إلى عيوبها الأيديولوجية والدفع بها إلى نهايات تجعلها بعيدة عن عالم حكايات الأطفال الشعبية، بحجة أنّ السيف لا يصلح لزمن الكمبيوتر، وأنّ قصة (عنترة) وليدة فكرة عنصرية تتستر باسم البطولة لتعوض الأشخاص ذوي السحنة السمراء عن معاناتهم من عقدة الشعور بالنقص.

وأنّ رواية سيف ضد الحرية طالما هي تؤيد الاحتلال بل وتنصب للبطل المشنقة لتحاكمه.

وكان بديهياً أن تُرفض التغريبة؛ لأنّ البطولة على الساحة في الوقت الراهن لا تمجد الفرد الذي يبارز العشرات ويتغلب عليهم بمفرده، بقدر ما تمجد فوز فريق كرة القدم، وأبي زيد لا يعتبر بطلاً من هذا الزمان؛ لأنّه لم يعتاد على لعب البطولة ضمن الفريق!

حتى ولو كانت هناك بطولة فالأمر يختلف مع (الكارتون) الذي بدأ يهمس في أذن كثير من الأطفال بأنّ البطولة أن تقف موقفاً جيداً، وأن لا تنخدع بصورة البطل من دون معقولية، وهو ما يمكن ترجيحه بعد تصدع تلك الهالة التي طوقت البطولات الفردية في زمن أصبح فيه البطل يمكن أن يتزحلق حصانه بقشرة موز، وأظن أنّ هذا هو الفارق بين الفكرة الموضوعية والفكرة غير الموضوعية من البحث عن طريقة للتعبير وتبسيط الأدب الشعبي والدخول في عالم الطفولة الذي لا يقل أهمية عن عالم الكبار إن لم يكن أهم بكثير.

خصائص الثقافة الشعبية

من خصائص الثقافة الشعبية أنّها مفتوحة وتحتضن مختلف عناصرها من أدب شعبي وحكايات شعبية وسير ونثر وشعر وأمثال وحكم وألعاب ومثال ذلك اعتماد الحكايات الشعبية للأطفال على الأدب الشعبي كمصدر من جهة ومن جهة أخرى على الرُواة الشعبيّين يُضاف إلى ذلك مصدر آخر وهو تجارب الأمم الأخرى.

وخصائص هذه المصادر المذكورة أنّها مفتوحة على التأثير والامتزاج ويمكن اعتبار التشابه الموجود بين الحكايات الشعبية اليمنية، وبعض الحكايات العربية أو حتى الأجنبية هو من نوع التداخل الثقافي وكثير من أنماط هذه الحكايات نجدها في نماذج التراث الشعبي اليمني.

والأدب الشعبي قد استفاد من جهود الرواة الشعبيين، أما من خلال البث والانتشار وأما من حيث مجاراة الحكايات اليمنية للحكايات العربية والعالمية.

وقد تلعب الحكايات الشعبية دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية وفي التركيبة الاجتماعية ولا تقتصر على حكايات عدن الشعبية أو سائر الحكايات الشعبية اليمنية، وإنّما تتعداها على المستوى القومي إلى الأدب الشعبي العربي.

وربما يكون البعض قد تنبه إلى طبيعة حكايات ألف ليلة وليلة، أو حكايات كليلة ودمنة التي نجدها في نماذج من قصصنا التراثية ونقرأ عنها كثيراً في كتب الأدب الكلاسيكي المدرسي سواء كانت مؤطرة بإطار الحكاية الخرافية – كما هو الحال – مع حكاية علي بابا، أو الحادثة الأسطورية في حكايات السندباد؛ لأنّ بعض حوادثها لا يمكن أن تحدث في الواقع.

لذا لا يمكن موضوعياً دراسة أدب الطفل العربي، كجنس متميز في الأدب الحديث، أو المعاصر بمعزل عن الأدب العربي بصورة عامة، خصوصاً وأنّ عملية تشكل هذا الأدب لها مورّوثها الكلاسيكي والشعبي، وكلها تكشف عن عوامل أخرى، كان لها الفضل في لفت أنظار الكتّاب العرب إلى الأدب العربي، الذي استطاع أن يحقق معادلة معقولة من شروط الإبداع وتفهم التجربة، والأمثلة على ذلك كثيرة ومكررة في مجتمع إنتاجه الأدبي قليل أصلاً، فمن الطبيعي أن تكون المؤلفات قليلة، وأن يكون الكتّاب قلة.

لهذا وجوه الاستفادة ما تزال مبكرة، رغم المراحل الطويلة التي قطعها أدب الأطفال منذ القرن الماضي، وظهور المؤلفين المشاهير ممن وقفوا معظم إبداعاتهم على التأليف للأطفال وأنتجوا العديد من المؤلفات الكلاسيكية التي تؤلف قسماً من التراث العربي، وما زالت إلى اليوم تنتظر من يوضعها في قالب عصري للأطفال، إذ علينا أن نعطي الطفل خيالاً أو منطقاً، بقدر نموّه، فمثلاً الأدب الشفوي المنقول عن عصور القهر والظلام بحاجة إلى إعادة نظر خصوصاً، وأنّ تراث الجدات بعضّه قيم والتراث بصفة عامة، له ظروفه التاريخية والسياسية والاجتماعية، وهذا اللون من التراث بالذات في الأدب الشفوي الذي هو أدب الأمهات أو الجدات المقهورات اللواتي يترجمن قهرهن بشكل خرافي للأطفال، لا يفترض تعزيزه على ذلك الشكل مثلاً قصة (عنترة) تبدو وكأنّها مسألة بسيطة، وبدلاً من أن يكون هناك منطقاً اعتدنا أن تكون البطولات فردية وبلا منطق، أيضاً روايات (الزير سالم)، وحمزة البهلوان، والأميرة ذات الهمّة، كذلك حين نتحدث عن (الغولة) التي تتعمد فيها البطلة إلى ذبح أولادها السبعة، أو حكاية (مرجانة) التي تصب الزيت المغلي على اللصوص، فهذه مسؤولية كبيرة؛ لأنّ هذا التوجه هو الذي يجعل الطفل عنيفاً.

أقصد أنّ أدب الأطفال في بلادنا العربية، ما يزال في جانب منه يهتم بشروط المصنفات الكلاسيكية، بخيرها وشرها، لأسباب أهمها :

(1) عدم وجود اختصاصيين يتفرغون لمزاولة الكتابة للأطفال.

(2) وبعض الذين تتوافر لديهم الموهبة يفتقرون إلى أساليب الكتابة للأطفال والتي تتطلب كثرة ممارسة ومران وقدرة على التبسيط واختيار المفردة المناسبة والفكرة المعقولة والنهاية المقنعة.

كذلك حين نتحدث عن (البساط الطائر)، فالمقصود به الرمز، أو استعارة شكل آخر للتعبير باستخدام البساط كطريقة للخلاص، فهو كحل لا يضع المعادل الصحيح مكانَ الخرافة، أو الخيالَ، فما المانع أن نقول للطفل إنّ هذا لا يحدث؛ إلا من باب الخيال.

من جانب آخر حكاية (حي بن يقظان) لابن الطفيل تعتبر من قصص الحكايات الشعبية الممتعة، رغم أنّ الأدب الشعبي يظهر الحيوانات بشكل مؤدي ويصعب استئناسها، لكن الأهم في هذه الحكاية التي يعدها الأدب العربي امتيازاً خاصاً لكاتبها سبقت العلم الحديث في إبراز أهم اكتشافاته، وهي إمكانية تحويل كثير من الخرافات إلى حقائق، وقد رأينا كيف بدأت حكاية (حي بن يقظان) باختراع فكرة المؤانسة، وكيف فعل مع الحيوانات؟ وكيف دافع ورد الأذى عنها؟.

وفي حكايات الأدب الشعبي أيضاً كان الناس يحتقرون ذوي العاهات ويتشاءمون من الأحول والأعور والأحدب ويهزأون بالمجانين والأغبياء وضعفاء العقول، ويعرضونهم للفرجة والسخرية.

وكان لابد من البحث والنظر في إمكان تغيير بعض السلوكيات والآراء الخاطئة والخاصة بمعاملات ذوي العاهات ومراعاة حالاتهم النفسية والإنسانية، لذلك كان من أخطاء الأدب الشعبي والحكايات الشفوية المنقولة، الإساءة لهذه الفئات المحيطة بالمجتمع، والتي يقتضي تعديلها واعتبارها مقياس أخلاقي لأدب الطفل، الذي يعنى بالضرورة الاهتمام بالأساس الأخلاقي، في مجمل القيم السائدة، ومن المسلم به أيضاً، أنّ أبطالاً من ذوي العاهات موجودون ويشاركون في بناء المجتمع.

على هذا النحو انتقل أدب الكبار في العالم العربي من خصوصيته إلى الأطفال، وبما أننا لم نعتد على أدب الأطفال قديماً يبقى أدب الكبار هو الأصل، بينما أدب الأطفال العربي وبصورة خاصة، يحتل موقعاً مهماً بين الآداب العالمية الحديثة، نظراً لوعي المجتمع العربي لقضايا (الطفولة)، ونظراً للدور الكبير الذي قام به الرواد العرب في هذا المجال، وبفضل المؤلفات والترجمات التي قام بها المؤلفون المحبون لسرد الحكايات والقصص معاً، تم تناول أجمل ما في أدبنا العربي؛ لأنّ القليل منه كان مناسباً للأطفال،

كما يُعتقد، ولقد لفتت النماذج التي أخذت من الأدب العربي كالحكايات والنوادر والقصص والأخبار أنظار المهتمين والمربين بصورة عامة، ولعل القصص التي جرى تعريبها من الآداب الأجنبية والتي تقترب في رؤيتها من الأطفال، ضمّت مختارات مهمة من مختلف اللغات، ولم يكتف الرواد بترجمتها، فحسب بل شفعوها بدلالات تناسَب الأطفال بما تحمله من مبادئ تدعو إلى المثل العليا، ومعظم هذه القصص والحكايات والأشعار قدم بعض منها في كتب الأدب الكلاسيكي المدرسي، بل قدمته هذه الكتب في أبهى صوره، وأكدت أنّ الأدب العربي الحديث يمتلك أصالة وثقافة عميقة تعود جذورها إلى الحضارة العربية.

وفي المقابل ظهر تأثير كثير من المصادر في ثقافة الطفل اليمني منذ الأربعينيات، وكان لكتابات الكتاب المتنورين في (عدن) مثلاً، والتي بدأ تأثيرها في الشعر والأدب والفن والفكر والسياسة والصحافة بشكل واضح أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، وقد كان يدعو روادها إلى الاهتمام بثقافة الأمة ووحدتها ضد مستعمريها محققين بذلك إضافات نوعية لا يمكن تجاهلها نظرياً وعلمياً؛ لأنّ التغييرات العلمية في تطوير مضامين وأهداف التعليم فرضت الزاميته في معظم الأقطار العربية، ناهيك عن انعكاس هذا التغيير على الكبار الذين اهتموا بالطفل اهتماماً بالغاً وصار بالإمكان الاعتراف بمطالبه، وما أحدثته من تغيير في اتجاه التفكير العام واعتبار ما يُكتب للأطفال من قبيل الاهتمام ثقافتهم كجزء من الثقافة المتطورة.

ولهذا فإنّ أثر الأدب الكلاسيكي المدرسي كغيره من كُتب المطالعة المستحدثة انعكس بصورة أو بأخرى على أجيال عديدة تطلعت إلى ما حفلتَ به الثقافة والحضارة العربية والإنسانية سواء في أقصى الشرق في الهند وفارس، أو في أقصى الغرب اليونان مثلاً موطن حكايات ايسوب.

من ذلك نستدل مصدران :

(أحدهما) يكرس الإطلاع على الأساطير والخوارق ونماذج البطولة مع جملة من المعارف الأولية في الجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية.

(ثانيهما) يجاري التطور المذهل في شتى فروع المعرفة واستخدامه في التأليف للأطفال.

ونستطيع القول إنّ الأدب الكلاسيكي المدرسي بموضوعاته وصوره قد أشار إلى نجاح السلوك المهني التربوي في مساره الذي دأب عليه الكتاب من المؤلفين والمربين عندما تبنوا مسألة تقديم كل جديد وممتع ومفيد ابتدأ من الاقتباس من كتب الكبارّ ومروّراً بالتأليف للصغار – وعلى سبيل المثال – فليس هناك قصة للطفل، أو أدباً للطفل العربي مستقلاً، فكليلة ودمنة وحكايات ألف ليلة وليلة من أدب الكبار، ونوادر جحا وبخلاء الجاحظ، وأخبار الحمقى والمغفلين من قصص الأدب العربي، بل أنّ جوانب كثيرة من الحكايات والأقاصيص أصبحت جزءاً من التراث الثقافي للطفل العربي ومعظمها تجسد من خلالها رؤى كتب القراءة المدرسية التي يتفاعل معها الأطفال ويدورون في فلكها.

وقد اتسم التأليف للأطفال في بعض كتب الأدب الكلاسيكي المدرسي آنذاك ببعض الخصائص المرحلية.

(أولاً) في السنوات الأولى من السابعة إلى الثامنة: عالم محدود تتحرك فيه الأم والأب والإخوة وبعض الأقارب والجيران والباعة، بل وينشغل الطفل بالدمي التي يلهو بها والحيوانات الأليفة التي تعيش قريبة منه، كذلك لباس الطفل وطعامه وما يؤثر فيه من الظواهر الطبيعية كالبرد والحر والنور.

في هذه المرحلة يكون خيال الطفل محدوداً ومرتبطاً ببيئته، وهدف هذه الكتب فيما مضى هو محاولة تجسيد خيال الطفل في بيئته وفي شتى مقوماتها من خلال اللعب مثلاً، فتأتي حاجة الطفل في هذه المرحلة إلى اللعب والجري القفز والتسلق والاستماع إلى القصص ومحاولة تمثيلها.

مثلاً :

سميرة تقوم بتمثيل دور الأم.
سامي يقوم بتمثيل دور الأب.
فاطمة تقوم بتمثيل دور القطة.

السؤال : ماذا تمثل سميرة؟ التي تلبس الثوب والحلي والأساور؟ تمثل دور ماما، وماذا تمثل فاطمة التي تموء؟ كالقطه وهكذا.

بمعنى آخر أنّ كتب القراءة المدرسية اهتمت بتعزيز دور الأدب الكلاسيكي المدرسي والذي يقف كثيراً عند مجالات التمثيل اللعب، الأناشيد على سبيل المثال :

أشرقت شمس الضحى
في السماء في السماء
فهي تعطي من صحا
صحة وعافية

أو /

دجاجي يلقطوا الحب ويمشي وهو فرحان
كأنّ عيونه خرز ويجري وهو جدلان

والملاحظ أنّ بعض القصص والأناشيد ألفاظها قد تقوى حصيلة الطفل لغوياً، لذا يُقال إنّ لكل طفل قاموساً فهمياً وآخر كلامياً.

وفي هذه المرحلة بالذات الطفل يتعلم الاسماء الموجودة في محيطه، ثم يتعلم الأفعال وتظهر الصفات مع الأفعال أو بعدها، والصفات المحسوسة تسبق الصفات المعنوية التي يجئ تعلمها في وقت متأخر، أما الضمائر فتبدأ باستعمالها في نهاية هذه السنة على وجه التقريب وعندما تبدأ بذلك تدخل أدوات الربط والجر في لغته.

أما الصفات الجسمية سهلة الإدراك يبرز فيها الحجم واللون والحركة؛ لأنّ الطفل في هذه المرحلة يجسد الجماد حتى اللغة المستخدمة في هذه الكتب بعضها يعتمد على لغة الطفل ونموه وكذا رسوماتها فهي تساعد الطفل على فهمها.. على سبيل المثال :

باب دار سامي
سامي سار، سامي ما سار

في المرحلة الثانية من التاسعة إلى العاشرة :

يبدأ في هذه المرحلة التمييز بين القصص الخيالية الذي يستقي مضامينها من الأدب الشعبي ويعتمد على الخرافة والأسطورة وحكاية الجن وهو يختلف عن المرحلة الأولى من (السابعة إلى الثامنة)، والتي لا تفهم المعاني المجردة التي تتضمنها الخرافة أو الأسطورة والحكاية الشعبية، ولكن يمكن أن يقدم للطفل في هذه المرحلة قصصاً خرافية، الشخصيات الموجودة في محيط الطفل الواقعي كقصص (ميكي ماوس) وعالم الحيوان بالذات غني، ويمكن أن يستمد منه القصص التي تتقمص فيها الحيوانات شخصيات الأدميين وتحاكي تصرفاتهم.

وفي هذه المرحلة بالذات يفضل الطفل القصص القصيرة والتي تكون فكرتها مضحكة كما يحب الطرائف التي تستند على التلاعب بالألفاظ والألغاز.

مثلاً قصة الولد والحلاق، أو المسافر والقرود، كيمو في بلاد الدببة من نوادر جحا الأربعة العميان والفيل.

وفي المرحلة الثالثة : بين الحادي عشر إلى الأثناء عشر :

يفضل الطفل قصص البطولة والمغامرة حتى ذكرت كتب علم النفس هذه المرحلة تحت اسم مرحلة المغامرة يبتعد فيها الطفل عن الأمور الخيالية بغرض الابتعاد ويهتم بالحقائق والمعلومات، لهذا تهتم كتب الأدب الكلاسيكي المدرسي بالتمثيل والخطابة؛ لأنّ الطفل في هذه المرحلة يهتم بتقليد الحركات فيعزز اهتمامه بالمسائل التاريخية والبطولات الفردية إضافة إلى تزكية الجوانب الموضوعية في الرحلات كغذاء أدبي في هذه المرحلة.

وللقصة أيضاً في هذه السن اهتمامها القرائي ولهذا يهتم الطفل بانتصار البطل في نهاية القصة أو المسرحية.

هوامش :

– للعرب كما لغيرهم من الأمم حكايات وقصص وأسمار تعبر عن حياتهم ونوازع نفوذهم، وقد أشرنا إلى سيرة عنترة، وهناك أيضاً قصة البراق، كما نقل العرب مجموعة من القصص من اللغات الأخرى، وأكثرها عن الفرس والهنود وأشهر ما نقلوه منهما :

– كتاب ألف ليلة وليلة وهو مجموعة قصص متسلسلة ثم أضافوا إليها الكثير.

– حكاية السندباد (من ألف ليلة وليلة الناسك والجرة (في هذا جزء من يعيش في عالم الأحلام والأوهام).. من ألف ليلة وليلة.

– الرواة الشعبيين والمداحين : حاولوا الاستفادة من حكايات الأمم من دون مساس لروح الأمة وعقيدتها وبنيتها الاجتماعية.

– على سبيل المثال : حكاية وريقة الحناء في الأدب الشعبي اليمني هذا النوع من القصص يسمونه القصة المتشابهة عند إجراء المقارنة مع / سندريللا / أو رمادة في الأدب الأجنبي.

– الدكتور علي الراعي تحدث عن التشابه بين الحكايات اليمنية والمصرية وأجرى مقارنته تلك بين حكايات "الجرجوف" مع حكاية أيزوريس".

– سيرة عنترة تدور حول سيرة بطل من أبطال الجاهلية وفرسانها، ولكن اختلط في قصته النثر والشعر والحقيقة بالمبالغة، ومع شجاعته؛ إلا أنّه كان يقاتل من أجل أن يحرر نفسه من الظلم والاستعباد، وهكذا نرى أنّ عنترة لم يكن يناضل من أجل جميع المظلومين.

– معظم كتب الأدب الكلاسيكي المدرسي تقرها الإدارات المعنية، وتمثل بمضمونها القيم السائدة في المجتمع من قبل السلطة ويكون تأثيرها عاماً.

– أما كتب القراءة الأخرى، القصص بأنواعها تختلف نظرة الكبار إليها؛ لأنّها غير مفروضة على الطفل.

– كانت في الماضي جميع المدارس الرسمية في (عدن) تعتمد سلسلة القراءة العربية، القراءة التوجيهية، والمطالعة الرشيدة حدائق القراءة، النموذج في القراءة العربية، القراءة والتعبير.

– صورة القهر قائمة (حتى) على العصا والفلكة، وحيث الفقي، المقرئ المعلم، يضرب من دون شفقة والأب يسلم ابنه له قائلاً : "اللحم لك والعظم لي".

مراجع :

(1) ألف ليلة وليلة.
(2) من حكاياتنا الشعبية محمد صالح شهاب.
(3) كتاب قصص مختارة.
(4) مجلة العربي في أحد أعدادها القديمة.
(5) الاتجاهات الجديدة في ثقافة الطفل النادي الثقافي العربي / لبنان.
المراجع : الحكمة العدد 85.

الهوامش :

الريادة : ترتبط بتاريخ الجيل الأول لها، وحيث يبقى لأسمائهم الفضل كأصحاب المحاولات الأولى في كل من مصرَ ولبنان وسورية.

رئيس منتدى الخوخة الثقافي لـ (14أكتوبر) :

نعد لأول تظاهرة ثقافية بالمديرية.. الخوخة مدينة بلا قلب

أول مولود لي مازال في غرفة الإنعاش !!

أجدها مناسبة لاهمس في اذن الوزير المثقف خالد الرويشان :الا تقوم بزيارة الى الخوخة ما أن تدلف قدماك شاطىء أبو زهر الجميل– مديرية الخوخة الا وتستوقفك تلك الرمال الناعمة، وقبائل من (أبو مقص) وغابات من اشجار النخيل والدوم والجميل انك تشرب مياه نقية اذا حضرت قرب الشاطئ بمقدار متر او مترين ، إذ به ماء عذب فرات من بين ملح أجاج ..من هنا اقلع السندباد وغيره الى عصب وبومباي وخور عباس ودبي والبصرة وغيرها.. مدينة الخوخة يجذبك جمالها اليها ويغويك عاشقها الاول غيرة منه للرحيل باسطاً ذراعيه لعينيك عند الغروب فلاتملك حينها ألا أن تكون السندباد!!!

ولانها مدينة لاتنام الا على قراءة من التاريخ وصفحات العلم وايقاعات متناغمة لقرعات طبول (المدافع) ووقع اقدام رقصاتها الفلكلورية الاصيلة ، ومواويل البحارة ورقصاتهم الشعبية وشدو المنشدين وشلاتهم فهي تصحو على وقع ذلك.

ومن تلك الارض نهض الشاب المثقف المبدع الصحفي محمد علي الجنيد– للانطلاق نحو عالم اكثر اتساعاً وقد جمع بين اكثر من موهبة (الرسم والخط – كاتب وصحافي) احد مؤسسي منتدى الخوخة الثقافي السياحي ومسؤولاً اعلامياً ورئيس تحرير مجلة (الخوخة) محلياً بالمديرية شارك في تأسيس بعض الجمعيات التعاونية الخيرية والاجتماعية والسمكية ومازال يسعى لتحقيق احلامه واخيرا اسس منتدى الخوخة الثقافي لاحياء التراث والفنون الشعبية ورئيساً له والان يعد لاول تظاهرة ثقافية بالمديرية.. الزميل / محمد علي الجنيد–قابلني بكل تواضع واحترام وبدون تكلف يبتسم لك مباشرة حاولت 14أكتوبر كشف تفاصيل رحلة هذا المبدع لمعرفة كل شيء في حياته العملية والابداعية والى حصيلة ذلك:

التقاه في الحديدة/أماني سعيد

محمد علي الجنيد

اكتب بحب واعشق الحياة:

 كيف كانت بدايتك ماهي حكايتك الابداعية خصوصاً ؟متى يرى مولودك النور؟!

– في البد اول مرة تستوقفني فتاة وتحاول تحاورني وتكشف صور ومشاهد من حياتي الابداعية والعملية والعلمية ولا ادري من اين ابدأ بدايتي وكيف استهلها فالحقيقة اسمي /محمد علي سالم علي احمد فتيني الجنيد من ابناء قرية ابوزهر –مديرية الخوخة– محافظة الحديدة– من مواليد 1980م بأبو زهر– أنا انسان بسيط ومتواضع لدرجة أن الطفل الصغير يستطيع ان يضحك علي ويأخذ الحلوى من يدي.. بدأت الدراسة المرحلة الابتدائية والاعدادية في مدرسة داؤود بن حجر بقرية ابو زهر– مسقط رأسي ومن هذه المدرسة رضعت حب المدينة ودرست الثانوية العامة – معهد حمزة بن عبدالمطلب بالخوخة الذي زرع في نفسي روح الابداع وحب الصحافة ولهذا دفعت نفسي للالتحاق بكلية الاعلام بحق وحقيقة صعب ان اجلس امامك واحساسي لاول مرة ان امرأة تستجوبني واني اتسأل ماذا تبحثين بداخلي؟!

ولهذا اتحدث وأنا في حالة ازمة.. فأتحدث بصدق وأنا أمام امرأة.. أنا روح شاردة في امسيات العمر المتأرجحة بين الفرح والحزن وكيان حرفي جسد نحيل شاحب وقلب ظامئ للحياة الكريمة في عالم يثقن العبث بعزة النفوس واقدام اناسه تهوى وتثقن دهس البراءة والصدق ناغمة تستسلم كسلى لعذوبه ونسمه مرتجلة فأنا شاب اكتب بحب واعشق الحياة.

حكايتي حكاية أي مبدع تبدأ بخربشات سوداء وتنتهي بمعاناة في عالم الابداع، بدأت في المجلات الحائطية بمدرستي (حمزة بن عبدالمطلب) ثم اصدرت مجلة (الخوخة) وكنت رئيس تحريرها ولي علاقة خاصة بصديقي الحميم (القلم) الذي يعتبر الصديق الذي ابوح له بشفافية كبيرة معاناتي واشكوه مالا استطيع ان اقصه لأحد اخر، فالكتابة الحقيقية بوعي كانت في المرحلة الثانوية ولدي مولود مازال في غرفة (الولادة) الانعاش تحت العناية المركزة ويسمى (الخوخة..مدينة بلاقلب!!».

 ما المشروع الفكري الذي تسعى لتحقيقه من خلال الكتابة؟

– الكتابة هي انائي التي اعرضها بكل صراحة وبساطة باي شكل من الاشكال اسعى من خلالها لتحقيق ذات لاتزول بحدث الموت.

 الساعة الاكثر ظلمة في مراحل حياتك؟

– ساعة الحزن والألم برحيل أمي –يرحمها الله– من هذه الدنيا لانها الشمعة التي تنير ظلمة حياتي وهي مصدر الحنان والمعرفة والحياة الذي نهلت منه في مراحل حياتي واهرب دائماً من تلك اللحظة التي تشبه الموت حتى لاتموت الفكرة وتنهار.

تزاوج وإبداع!!

 من كان له الدرو الأساسي لدفعك للرسم؟

– والدتي كانت فخورة أن ابنها الصغير بارع في الرسم، لكن الذي اكتشفتني كانت مدرسة الفصل وأنا في الصف السادس الابتدائي علقت لوحاتي على حيطان الفصل ودعت تلاميذ الفصول الأخرى لمشاهدتها ساعتها زاد إحساسي بذاتي منذ صغري فهذه الدفعة المعنوية ساعدتني لاستكمال المسيرة، وكنت ارسم لها كل يوم صورة تعبيرية وكانت تكافئني بطريقتها ، وعندما وصلت للصف الأول ثانوي بمدرسة حمزة بن عبد المطلب بالخوخة طلب مني مدير المدرسة /حسن عوض قعموص.. هذا الإنسان الذي زرع في نفسي روح العمل وحب الإبداع وشجعني كثيراً في مواصلة هذا الفن وغيرها من الإبداعات التي كانت في نفسي– طلب مني رسم لوحات بالزيت والرنج ايضاً على جدار المدرسة وهو أصعب أنواع الرسم ودفعني لهذه اللوحات التعليمية ودفعني للالتحاق بكلية الإعلام جامعة صنعاء لأني كنت أهوى الصحافة وكان لدي مجلة بمديرية الخوخة تسمى (الخوخة) ثقافية –اجتماعية –شاملة– صدرت في 15/7/1997م وكانت لسان حال المجتمع وكنت أصدرها برفقة زملائي الاعزاء حسن محمد علي كريمي،عبدالله سليمان دوبلة، وأستاذي العزيز أبو الحسين رفعت حسن غليسي– الذي وقف معي في بداية رحلتي الصحفية الأولى ومن خلاله استطعت امزج الموهبة الفطرية بالدراسة العلمية.

 ماهو وضع المرأة في محور رسوماتك؟

– أحيانا موضوع الكاريكاتير نفسه يستدعي أن تحول رجلاً إلى امرأة للتعبير عن التزاوج بين حزبين مثلا، فأقول بعمل تزاوج بين رجل وامرأة وقد عملته في أحد رسوماتي وهناك أمثلة كثيرة وظفت فيها المرأة في النقد الساخر.

 هل تسبب مثل هذه الرسومات بعض الضيق للمرأة؟!

– النقد الساخر في الكاريكاتير لايسبب أي نوع من الضيق لأنه فن الاختزال.... الكاريكاتير يختزل مقالا طويلا في كلمتين أو ثلاثة على الأكثر، فلو نجح الرسام في توصيل رسالته بشكل بسيط ساخر ومفهوم يكون قد نجح.

 متى تكون بحاجة لاطفاء الضجيج واشعال الصمت؟

– اكون بحاجة لاطفاء الضجيج عندما الوذ بنفسي واتوحد مع الكتابة عن مايدور في واقعي المعاش ويشتمل صمتي لحظة مشاركة وجدانية صادقة مع النفس في التخيل واحلى الذكريات أمام بحر قريتي ابو زهر الساحر الذي احبه واعشقه فهو مع الكتاب يمثلان ثنائيا رائعا في حياتي وهما مصدر كتاباتي وحبي.

منتدى للثقافة والتراث!!

 ماذا عن المنتدى وماهي اهدافها ولماذا سعيت لايجادها؟

– كانت الفكرة برأسي ولكن لم تأت الفرصة المناسبة لاخراجها للواقع نتيجة الظروف وقلة الوعي بدور المجتمع المدني بالمديرية، وقد سعيت العام قبل الماضي 2005م لاظهار واشهار المنتدى رسمياً وابرز اهداف الخوخ للتراث والفنون الشعبية محصور في الاتي:–

1. الاهتمام بالادب بمختلف الوانه، الاهتمام بالشعر الشعبي وذلك من خلال الاهتمام بمن تبقى من الشعراء الشعبيين وتشجيع الشباب على كتابته وتوثيقه وابرز المساجلات الشعبية .
2. الاهتمام بفن الانشاد من خلال الاهتمام وايجاد فرقة انشاد تجيد الانشاد بشقيه "السماع والشلات، وتطويره بما يواكب العصر،الاهتمام بفن النجارة خصوصاً بان المديرية تشتهر بصناعة القوارب الشعبية (الهواري والصنابيق) الاهتمام بالتراث الشعبي والسعي الى توثيقه خصوصا البحري توثيق وتطوير الموروث الشعبي بكل أشكاله وألوانه وإحيائه.
3. توعية المجتمع بأهمية التراث الثقافي والإنساني لمدينة الخوخة.
4. إعادة تأهيل وإحياء واهتمام بالحرف اليدوية القديمة، تشجيع المبدعين واحتضانهم وإبراز مواهبهم في كل المجالات والأنشطة، تشجيع السياحة وتنمية المجتمع سياحيا.

ظاهرة ثقافية وتراثية!!

 ماهي آليات العمل لتحقيق تلك الأهداف؟!

– لدينا برنامجنا الخاص والذي على ضوئه نأمل أن يتحقق من خلاله بعض تطلعاتنا وإننا نقيم شهرياً فعاليات ثقافية وفنية وأدبية وناهيك عن علاقة المنتدى بأدباء زبيد وبيت الفقيه والجراحي وحيس وفرع اتحاد الأدباء والكتاب بالحديدة والجمعيات الثقافية في نفس المجال والمنتديات أيضا ولدينا أعضاء فاعلين في مختلف التخصصات الأدبية والفنية والتاريخية ولدينا عدة أقسام وكل قسم يقوم بدوره وان شاء الله نسعى جاهدين لإقامة مهرجان الخواخة الثقافي السياحي الأول.

 في إطار حديثك عن المهرجان ممكن تحدثنا عن ذلك المهرجان؟

– المهرجان يعد أول تظاهرة ثقافية وسياحية من نوعها، ويتضمن المهرجان كل ألوان الموروث الشعبي التهامي من صناعات حرفية وتقليدية وغيرها وكذا مسابقات مختلفة في البحر كمسابقة التجذيف، ومسابقة القوارب الشراعية، والسباحة، مسابقة جمع الأصداف البحرية في أعماق البحر، مسابقة صعود النخيل وجني الثمار وغيرها، وهناك فعاليات ثقافية وفنية كتقديم موشحات وموالد وفعالية غنائية تتضمن مواويل شعبية بحرية ورقصات بحرية، لان مديرية الخوخة تمتلك موروثا ثقافيا واسعا وفلكلورا متنوعا ومتعددا، وهناك معارض فنية وابداعية تتضمن معرض فني لمبدعين المديرية، ومعرض لمختلف الحرف اليدوية التقليدية، معرض للصور الفوتوغرافية عن معالم ومآثر الخوخة وغيرها من الفعاليات التي سنعلن عنها حينها، فالهدف من هذا المهرجان هو بث الحياة لتراث المديرية عموما وتهامة خصوصا، ومن أجل الترويج لهذه المديرية، الخوخة تمتلك تراثا متنوعا سواء كان حرفا أو فنا أو أدبا شفاهيا ومكتوبا ولأهمية المنطقة ولمد جسور ثقافية متينة بين الأجيال على اختلاف حقبها الزمنية وحماية موروثها الشعبي من الاندثار والطمس والنسيان من الذاكرة ومعروف أن مدينة الخوخة كانت ميناءا تجاريا هاما في القرن السادس الهجري، وأنها تمثل معرض الأصالة ومن مسؤولية أبنائها بلورة ذلك المفهوم عملياً، خاصة في ظل القيادة السياسية/ممثلة بالزعيم علي عبدالله صالح –رئيس الجمهورية– حفظه الله الذي يولي الثقافة والسياحة جل اهتمامه، وأملي الكبير في الله عزوجل أولا ثم في الأخوين الأستاذ المثقف/خالد عبدالله الرويشان– وزير الثقافة ومحافظ الحديدة العميد/محمد صالح شملان– للوقوف معي ومع أبناء الخوخة لإقامة المهرجان الأول والذي سيكون تحت رعايتها ويسهم في إبراز الخوخة ثقافيا وتاريخيا وسياحيا لأنها درة اليمن السياحية وسندريلا عروس البحر الأحمر كما سماها رئيس الجمهورية.

الغرور ليس طبعي!!

 متى ندمت ومتى تكون بائساً ومتى تحب الصمت؟!

– ندمت يوم أن أخطأت في حق من احبتني وأكون بائساً في كل حال وأحب الصمت ولكن أنا كثير الكلام.

 لمن تقرأ ولماذا تكتب؟

– أحب قراءة كتب الأدب والتاريخ واعشق حد الموت قراءة رسائل الغرام بين الزملاء والزميلات ومشغف بحب قراءة كل شيء ومفيد وأنني اكتب لكي أتمكن من انتزاع عدة ثوان محدودة سعيدة من براثن هذه الحياة المهلكة التي ستنزف قدرتنا على الحب والشعور بالسعادة والجمال، لأننا موجودون ومايدفعني للكتابة هو الجوع للكتابة والرغبة في الدخول في علاقة حميمية مع حبيبتي البيضاء "ورق" :

 البعض يتهمك بالغرور فما ردك؟

– أنا لست مغروراً ولا أحب الغرور أبداً والحمدلله لي أصدقاء ولي علاقات بكل الناس فأنا إنسان اجتماعي والغرور نهاية لاي براقة إبداع!!

بحر الحب عميق

 ما الفرق الذي تراه بين صدق محمد الجنيد الصحفي والكاتب والرسام ؟

– أرى أنه لايوجد فرق ولكن يمكن القول إن محمد علي الجنيد الصحفي يمسك قلمه بقوة دون أي خوف أو توتر ولكن أمام اللوحة الفنية حين امسك بالفرشاة أحيانا مااشعر بالاضطراب .

 هل ترى أن هذا الاضطراب من اللوحة نفسها أم من مساحة الحرية المتاحة لك أمامها ؟

– لا ليس بسبب مساحة الحرية فأنا حظي أفضل من غيري بكثير فيمكنني أن أقول أي شيء دون خوف من أي شخص أو من أي شيء

بأن انقد ماأراه يستحق النقد وعليك قراءة محمد علي الج